

تفسير البحر المحيط

@ 154 @ غربة في بلاد لا دار لنا ، ولا فيه عقار ، ولا من يطعم . فمثل لهم بأكثر الدواب التي تنفوت ولا تدخر ، ولا تروى في رزقها ، ولا تحمل رزقها ، من الحمل : أي لا تنقل ، ولا تنظر في إدخار ، قاله مجاهد ، وأبو مجلز ، وعلي بن الأقرم . والإدخار جاء في حديث : (كيف بك إذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبئون رزق سنة لضعف اليقين ؟) قيل : ويجوز أن يكون من الحمل التي لا تتكفل لنفسها ولا تروى . وقال الحسن : { لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا } : لا تدخر ، إنما تصح فيرزقها . وقال ابن عباس : لا يدخر إلا الآدمي والنمل والفأرة والعقق ، وقيل : البلبل يحتكر في حنفيه ، ويقال : للعقق مخا بء ، إلا أنه ينساها . وانتفاء حملها لرزقها ، إما لضعفها وعجزها عن ذلك ، وإما لكونها خلقت لا عقل لها ، فيفكر فيما يخبؤه للمستقبل : أي يرزقها على ضعفها . { وَإِيَّاهُ كُفِّرُوا } : أي على قدرتك على الاكتساب ، وعلى التحيل في تحصيل المعيشة ، ومع ذلك فرازقكم هو . { وَهُوَ السَّمِيعُ } لقولكم : نخشى الفقر ، { الْعَلِيمُ } بما انطوت عليه ضمائرهم . ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارهم بأن مبدع العالم ومسخر النيرين هو . وأتبع ذلك ببسط الرزق وضيقة ، فقال : { اللَّهُ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ } أن يبسطه ، { وَيَقْدِرُ } لمن يشاء أن يقدره . والضمير في له ظاهره العود على من يشاء ، فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت ، ويقدر في وقت . ويجوز أن يكون الضمير عائداً عليه في اللفظ ، والمراد لمن يشاء آخر ، فصار نظير : { وَمَا يُعَمِّرُهُ مِنْ مَّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ } : أي من عمر معمر آخر . وقولهم : عندي درهم ونصفه : أي ونصف درهم آخر ، فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق . وقرأ علقمة الحمصي : ويقدر : بضم الياء وفتح القاف وشد الدال ، { عَلِيمٌ } : يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم . ولما أخبر بأنهم مقرون بأن موجد العالم ، ومسخر النيرين ، ومحبي الأرض بعد موتها هو . كان ذلك الإقرار ملزماً لهم أن رازق العباد إنما هو المتكفل به . وأمر رسوله بالحمد له تعالى ، لأن في إقرارهم توحيداً بالإبداع ونفي الشركاء عنه في ذلك ، وكان ذلك حجة عليهم ، حيث أسندوا ذلك إلى . { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } ، حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي ، ويعبدون غيره . { وَمَا هَآذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } : الإشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير أمرها ، وكيف لا ؟ وهي لا تزن عند جناح بعوضة ، أي ما هي في سرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها ، إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون . والحيوان ، والحياة بمعنى واحد ، وهو

عند الخليل وسيبويه مصدر حيي ، والمعنى : لهي دار الحياة ، أي المستمرة التي لا تنقطع .
قال مجاهد : لا موت فيها . وقيل : الحيوان : الحي ، وكأنه أطلق على الحي اسم المصدر .
وجعلت الدار الآخرة حياً على المبالغة بالوصف بالحياة ، وظهور الواو في الحيوان وفي
حيوة ، علم لرجل استدل به من ذهب إلى أن الواو في مثل هذا التركيب تبدل ياء لكسر ما
قبلها ، نحو : شقي من الشقوة . ومن ذهب إلى أن لام الكلمة لامها ياء ، زعم أن ظهور الواو
في حيوان وحيوة بدل من ياء شذوذاً ، وجواب لو محذوف ، أي لو كانوا يعلمون ، لم يؤثروا
دار الفناء عليها . وجاء بنا مصدر حي على فعلا ، لأنه يدل على الحركة والاضطراب ،
كالغليان ، والنزوان ، واللهيان ، والجولان ، والطوفان . والحي : كثير الاضطراب والحركة
، فهذا البناء فيه لكثرة الحركة .

ولما ذكر تعالى أنهم مقرون بالـ إذا سئلوا : من خلق العالم ؟ { وَمِنْ * نَزَّلَ
مِنْ السَّمَاءِ مَاءً } ؟ ذكر أيضاً حالة أخرى يرجعون فيها إلى الـ ، ويقولون بأنه هو
الفاعل لما يريد ، وذلك حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه . وقال الزمخشري :
فإن قلت : بم اتصل قوله : { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ } ؟ قلت : بمحذوف